

الجدور التاريخية للاشراكية العربية

بقلم دكتور عبد العزيز كدوري

ان تسليخ عن ذاتها، ان ارادت البقاء . فكيف اذا ارادت تجديد ذاتها وتحقيق حياة كريمة لابنائها .

ان الاشتراكية العربية ليست صورة اخرى للماركسية ، وانما انبعثت من واقع الامة العربية ومن ارثها الحضاري ، وانها تتمثل قيمها الاساسية ومفاهيمها الخلقية . وهذا لا يعني عزلتها بل انها في الوقت نفسه تستفيد من خبرات الامم الاخرى ومن نتاج الفكر الانساني لاغناء ذاتها .

اننا حين نؤكد على الجدور العربية الاسلامية للاشراكية العربية، ونؤكد على تمثلها للقيم العربية الاسلامية وللنظرة الاسلامية للحياة ، لا نقصد البحث عن مبررات الاشتراكية منقولة ، في التراث او في احداث التاريخ العربي الاسلامي ، لان هذا لا يبدو وضع اقنعة شفافة على نظام منقول . اننا نريدها اشتراكية عربية في جذورها الحضارية وفي قيمها ونظرتها ، مفتوحة على خبرات العصر الحديث وعلمه .

ان ما ذكرنا لا يبدو ان يكون هدفا عاما ، ولن تكون له دلالة ومعناه الا بالنظر الى الاصول التاريخية .

اننا لا نريد دراسة الفكر الاشتراكي هنا ، ويكفي ان نتحدث عن الماركسية بايجاز تتطلبه طبيعة الموضوع .

اننا نجد في عدد من الحضارات آراء عن العدالة الاجتماعية ، وعن توفير الفرص التكافئة ، وعن انكار الاستغلال . اننا نجد في بعض الفكر اليوناني ، ونجدها في الفكر الهندي والصيني ، ونجدها في الفكر المسيحي الوسيط ونجدها في العصور الحديثة قبل قيام الماركسية . ولم تكن هذه الآراء الا رد فعل للمساوية الاجتماعية وتعبيرا عن تطلع المفكرين والجماعات الى حياة افضل .

ولم تكن الماركسية خارجة عن هذا الاطار العام . فهي نتاج الحضارة الاوروبية الصناعية في القرن التاسع عشر ، وهي تقدم صورة كلية للمجتمع الذي تريده . فهي تعطي تحليلا دياكتيكيا ماديا للتاريخ البشري ، وتعتبر تغير وسائل الانتاج اساسا لتغيير المجتمع ولتغيير قيمه ومثله وهي تنكر الدين وتعتبره ظاهرة تاريخية عابرة صارت وسيلة استغلال . انها نتاج تطور الحضارة الاوروبية التي قامت مبدئيا على الارث اليوناني والديانة المسيحية واخيرا على النهضة العلمية وعلى ما تخفيه من صراع بين الدين والعلم وعلى هذا الازدواج القلق المتصادم بين النطاق الديني والنطاق الدنيوي .

ولسنا هنا بصدد بحث الثورة الدينية في اوروبا على الكتيمة ، وقيام البروتستانتية ، وما كان لها من اثر في تشييط الرأسمالية ، ولسنا بصدد تحليل اثر الثورة الفرنسية في ضرب الاقطاع الاوروبي ودفوع الحركة القومية الاوروبية وما لازم هذه الحركة من محاولات لتوسيع رقعة الاستعمار ، وبث مفاهيم المساواة بيد والسيادة الغربية بالآخرى وما صحب ذلك من اثار عميقة ، ولكننا نشير الى الثورة التي مهسدت لقيام الماركسية وهي الثورة الصناعية . فقد احدثت الثورة الصناعية تحولا واسعا في المجتمعات الغربية ، رافقته مآس اجتماعية خطيرة واوجدت اندفاعا من الاستغلال تجاوزت كل حسد وابرزت تناقضات

يمر المجتمع العربي بثورة شاملة تهدف الى تحقيق حريته وضماني وحدته واطلاق امكانياته وبناء مجتمع تسوده العدالة وبعمه الرخاء .

وهي ثورة متصلة الجوانب والحلقات في البلاد العربية ، على الرغم مما يبدو من تركيز او تحديد . فهي ثورة على التسلط الاجنبي اولا في جزء ، وثورة على الاستغلال والتخلف في جزء ، وثورة على التجزئة في جزء ، وثورة على هذه جميعا في اجزاء اخرى من الوطن العربي .

والثورة في شمولها او في جانب منها لا تقتصر على التخلص من وضع ، فذلك لا يبدو ان يكون تهيئة او تمهيدا للثورة الفعلية ، وهي عملية البناء التي تخلف التغيير الكلي ، فتكون جذورها في التربة عابرة الواقع الى المستقبل المرسوم .

وللفكر دوره الكبير في التوعية وفي التمهيد للثورة ، ولا بد ان يكون له دوره الاساسي في البناء . ولكن الفكر لن يؤدي دوره ان ركن الى النقل او اقتصر على التامل ، بل لا بد ان يبتثق من التراث والواقع ويتفاعل معهما باستمرار .

والمجتمع العربي الان في فوران متصل وحركة دائبة ، تهمه رغبة جارفة لتخطي الزمن واللحاق بركب المدنية وتحقيق اهدافه الكبرى .

وقد ادى هذا الى ان تسبق الحوادث نطاق الفكر في كثير من الاحيان وان يأتي التطبيق قبل ان تتحدد النظرية . ان هذه ظاهرة حيوية قويمة اورثت الثقة والامل والهبت الطموح ، لذا فانها تفرض على الفكر مسؤولية خطيرة في متابعة الاحداث وتفهمها وفي التخطيط للمستقبل . ان محتوى الثورة العربية في الحقل الاجتماعي الاقتصادي يمثل جانبا حيويا لهذه الثورة ، وهذا المحتوى يمثل في الاشتراكية العربية، لانها تمثل مفهوم العدالة الاجتماعية بمعناها الواسع فسي المجتمع العربي الجديد .

وطبيعي ان يتجه الفكر العربي الى بحث الاشتراكية العربية والى تحديد اطارها الفكري ورسم خطوطها النظرية . وطبيعي في مرحلة مثل هذه ان نرى مجالا رحبا للاجتهاد والنقل ، وان نحس بازمة فكرية قوية . ولكن الفكرة لن تستقر ولن ترسخ الا اذا انطلقت من الواقع ووجدت جذورها في التراث ، والا اذا كانت تحقيقا لامل الامة وتجسيذا لامانيها .

ولنا ان نساءل مبدئيا عن المفهوم الذي تنطوي عليه الاشتراكية العربية وعن محتواها ، وان نفحص سبب نعت هذه الاشتراكية بانها عربية لنرى وجهتنا . فهل نعتبر التطبيق اساسا للتسمية فننتع كل تطبيق اشتراكي باسم البلد الذي يطبقه ؟ ان هذا الاتجاه يفترض ان الاشتراكية واحدة ، حيثما وجدت ، وكيف طبقت ، ولن تعدو التسميات الاوصاف الجغرافية او الاقليمية . والاشتراكية ليست مجرد نظام اقتصادي ، بل هي نظام كلي له قيمه ومفاهيمه ونظراته للحياة . كل هذا يعني قبول هذا النظام وما ينطوي عليه والملاءمة النسبية في التطبيق . اننا لا نقر هذا التفسير ، فهو لا ينطبق على الاشتراكية العربية ، ولا يمكن قبوله مفهوما لها .

ان الامة لا تستطيع التخلي عن ارثها الحضاري وعن قيمها ولا يمكنها

اجتماعية اقتصادية شديدة . وحصل هذا في عصر من التقدم الفكري الواسع .

ظهرت الماركسية في اطار الحضارة الاوروبية في القرن التاسع عشر ، وهي نتاج مجتمع اوروبي متفطرس يسرى مفكروه ان تجارب البشرية انتهت اليه ، وان كل ما حصل او يمكن ان يحصل فيها لا يخرج عن نطاق تجربة المجتمع الغربي .

ولم يشذ ماركس عن هذه النظرة ، بل انطلق منها حين التفت الى التاريخ الغربي وحاول تفسيره ثم حول ذلك الى قوانين عامة لتطور المجتمعات البشرية . والواقع ان مؤرخي الغرب وفلاسفة تاريخه استمروا يحملون نفس الفكرة الى اواسط هذا القرن ، فلمسا قامت الثورات التحررية الكبرى بين شعوب آسيا وافريقيا بدأوا يدركون خطأ الفكرة وسيقها ويرون انه لا يمكن تعميم اي تفسير لتجارب المجتمعات الغربية على المجتمعات البشرية الاخرى .

جاءت الماركسية بتفسير دياكتيكي مادي للتاريخ البشري ، واعتبرت تغير وسائل الانتاج وملكيته اساس تغير المجتمع وتغير مثله وقيمه . اذ يرافق تغير وسائل الانتاج صراع بين الطبقة المسيطرة حاليا والطبقة الجديدة الصاعدة ، وهكذا فالتغيير الجذري لا يكون الا بصراع الطبقات، والماركسية تنكر الدين وتعتبره ظاهرة تاريخية وسبيل استقلال .

وهكذا فالماركسية تخضع تطور البشرية لقوانين حديدية ، وتفرض الحتمية في التاريخ . وترى ان قوانينها تصدق على كل المجتمعات بمعنى ان حتمية التاريخ تفرض مرور المجتمعات بنفس الادوار من التغيير التي تراها في المجتمع الغربي ، فهي صور متتالية متوازنة من التغيير في المجتمعات البشرية . وقد تقرب المفاهيم الماركسية لانباء مجتمعنا اذا اشرنا الى محاولات بعض المؤرخين الماركسيين تفسير التاريخ العربي . فهم يرون ان المجتمع العربي مر قبل الاسلام بالمرحلة البدائية (الرعوي) الى مرحلة امتلاك الرقيق وشارف المرحلة الاقطاعية . وهذا التطور ولد أزمة اجتماعية اقتصادية انتجت الاسلام . وحاولت ارسنقراطية الملاكين (تجار الرقيق) الخروج من الازمة بالفتوحات ، ونتج عن الفتوحات تحول المجتمع كليا الى مجتمع اقطاعي ، وتم ذلك في العصر العباسي .

فالاسلام اذن نتاج أزمة اقتصادية اجتماعية سببها تبدل علاقات الانتاج وهو تعزيز لصالح الطبقة الناشئة ولا يمدو ان يكون ظاهرة مادية . ومع ذلك فهم مضطربون في رسم الخطوط . فمنهم من يرى ان الاسلام يلائم مصالح ارسنقراطية الرقيق ، بينما يرى آخرون انه يلائم مصالح الطبقات المستقلة من ملاك وارسنقراطية الاقطاع ، في حين يرى غيرهم انه لا يلائم مصالح الطبقات الحاكمة الجديدة فلجا اصحابه الى الوضع في الحديث لتبرير الاستقلال الاقطاعي .

وبينما يقول البعض ان ارسنقراطية وحدت القبائل العربية لتتحقيق اغراضها ، يقول غيرهم ان القبائل كانت تتوئب للوحدة فجاء الاسلام موحداً يعبر عن ذلك التوئب . بل يضطرب الموقف حتى من نشأة الاسلام ذاته . فبينما يدعي البعض ان محمدا (ص) واحد من عدة انبياء ظهوروا وبشروا بالتوحيد ، يذهب آخرون الى نفي شخصية النبي العربي والى اعتباره شخصية اسطورية . وذهب البعض الى ان الاسلام نشأ عن اسطورة وضعت في فترة الخلافة لمصلحة الطبقة الحاكمة وان جذورها تعود لاعتقادات سابقة تسمى الحنيفة .

وهذا الاضطراب في الرأي والانحراف عن تفهم التاريخ العربي ان هو الا مظهر لفرض نظرية خارجية على التاريخ العربي ، وهو نتيجة لاتخاذ التاريخ سبيلاً لتبرير الماركسية ودعمها ، وما ابعد ذلك عن طبيعة التاريخ العربي وعن البحث التاريخي العلمي (تجد تفصيل ذلك في دراسات بيجولفسكايا ، وبلاييف ، وكليموفيتش ، وتولستوف) .

ولسنا هنا بصدد تقييم الماركسية حتى بالنسبة لتطور المجتمع الغربي ، ويكفي ان نقول ان الجدل حولها واسع ، وان الماركسية حولت بعض نظراتها من جهة ، كما ان تطورات خطيرة حصلت في غير ما افترضتها نظرتها . ولكن يلزمنا ان نتذكر ان الماركسية نظرية كلية ،

وان اساسها تقوم على اعطاء سبب واحد لتغيير المجتمعات ، وهو تبدل وسائل الانتاج ، وان التغيير يحصل عن طريق الصراع بين الطبقات ، وان النواحي الروحية او الفكرية هي ظاهرة لا سبب في تطور المجتمعات . وهذه النظرية تختلف اساسا عن قولنا بأهمية العوامل الاقتصادية في تغيير المجتمعات ، لان التفسير الاقتصادي لا يعتبر الاقتصاد العامل الوحيد بل عاملا مهما مع عوامل اخرى في تغيير المجتمعات وفي التطور الحضاري .

لننظر الآن الى التاريخ العربي لنرى سبب المجتمع عبر العصور ولنتفهم طبيعته .

لقد كون المجتمع العربي الاسلامي حضارة تتمثل فيها عبقريته ومفاهيمه . وأدق ما في أية حضارة الروح التي تتخللها والقيم والمثل التي تعزز بها .

وجدير بنا ان نتذكر ان هذه الحضارة وجدت اولياتها في الارث الثقافي العربي القديم . وهو ارث عريق يعود لاكثر من الف سنة قبل الميلاد ويشترك فيه وادي الرافدين واليمن وسورية ومصر . وقد مر النشاط الحضاري العربي بفترات من الازدهار والركود ، ولكن مناطق نشاطه تمثلت قبيل الاسلام في شمال الجزيرة العربية وجنوبها . وأوضح مظاهره اللغة العربية والشعر العربي . وكانت له اصول قديمة في التوحيد على الرغم من طفيان الوثنية في هذه الفترة .

وظهر الاسلام ، ووجد العرب فيه مثلهم وقيمهم ونظرتهم للحياة ، كما وجدوا فيه وحدتهم وطريق انتشارهم على الارض ، وراوا فيه منطلقا لبناء حضاري جديد .

ومع ان العرب اخذوا في العصر العباسي من الحضارات الاجنبية، الا ان ذلك جاء بعد الفترة التي رسمت فيها خطوط الحضارة العربية واسسها . فقد ظهر النشاط الثقافي في مراكز عربية خالصة فسي المدينة والبصرة والكوفة ثم الفسطاط ، وتمثل في الدراسات العربية الاسلامية علوم الحديث والقرآن والفقه والدراسات التاريخية واللغوية وفي النشاط الادبي الخصب . وبعبارة ايسر ظهرت الدراسات الانسانية واتخذت اطارها قبل البدء بالترجمة مهما كانت اشكالها . وهذه الدراسات تمثل روح الامة وقيمتها وتحدد طابعها الثقافي ووجهتها الحضارية .

وحينما اخذ العرب من اليونان اخذوا شيئا من علومهم واخذوا من فلسفتهم وتأثروا بذلك في تطورهم الفكري ، وكل ذلك لم يغير من مثلهم وقيمهم وانما افادهم في اغناء الجوانب المادية من حضارتهم وافاد في تطوير بعض اساليب التفكير لديهم .

لقد تمثل المجتمع العربي الاسلامي فيما اساسية وكون نظرتهم للحياة ، وكان المبدأ الاساسي في هذا المجتمع مبدأ العدالة . لقد تجلت روح العدالة الشاملة في الحضارة العربية وتمثلت في جوانبها المختلفة في السياسة والتشريع والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

تبدو فكرة العدالة في سيادة الشريعة (القانون) على الحاكم والمحكوم وفي استنادها الى النصوص من جهة والى آراء الفقهاء والعلماء من جهة اخرى . والشريعة تؤكد على العدل وتنكر الجور وترى أي خروج على ذلك مهما كان مصدره ضلالا .

وتبدو الفكرة في التأكيد على الشورى وعلى حرمة رأي الامة . وتمثل الشورى في مجموعة اهل الحل والعقد التي توجه وتدير . وما دامت الامة اساس الكيان العام ، وجب ان يمثل اهل الحل والعقد جماعاتها المختلفة ، وهم خلاصة قابلياتها . ولكن ذلك لا يكفي ، فهناك الرأي الشامل للامة كما يتمثل في مبدأ الاجماع . فمتى اتفقت الامة او آراء فقهاءها ومجتهديها على شيء وعد الاتفاق اجماعا كان ذلك ملزما . فاكسب رأي الامة حرمة ملزمة ، وفتح الباب لتجاها مشاكها باق مفتوح بعد مراعاة مصالح الجماعة او الخير العام .

وتأكد الفكرة في استقلال القضاء عن السلطة وفي صلابته

القضاة في الحق وفي وقوفهم جنب العدالة تجاه المنفذين وتجاه عامة الافراد .

وتظهر فكرة العدالة في الناحية الاقتصادية في منع الاستغلال بأشكاله وفي انكار سيطرة المال والتأكيد على الرعاية الاجتماعية . فالربا محرم ، والاحتكار مرفوض خاصة فيما يتعلق بمعاش الناس . وتظهر الفكرة في وضع حق معلوم للضعفاء يتعدى ما يقدم الفرد في الزكاة والهبة الى الزام الامة بمكافحة الفقر بأشكاله . ويصل مفهوم العدالة الى ابعد من ذلك حين يؤكد على ضرورة ضمان مستوى معاشي مقبول للناس كافة . فمع تبين الرأي في شؤون المعيشة بين من يرى المساواة وبين من يقر التباين على اساس الخدمة والفضل ومؤهلات اخرى ، الا ان الاتجاه العام هو الى ضرورة ضمان الحد الأدنى لافراد الامة مع السعي لتخفيف الفوارق الاقتصادية حفظاً للكيان العام .

وتتمثل فكرة العدالة في اعتبار الاراضي المفتوحة وما فيها من ثروات ملكاً مشتركاً للامة ووفقاً عليها في حاضرها ومستقبلها . ومع قيام عدة محاولات لتجاهل ذلك في فترات مختلفة ، الا ان فكرة ملكية الامة انتصرت ورسخت .

وفي الناحية الاجتماعية تبدو فكرة العدالة في التأكيد على حركة الانسان وكرامته ، وعلى احترام الرأي والسماع تجاه اراء الاخرين ما دامت لا تهدد الكيان المشترك . وتبدو ايضا في التأكيد المطلق في المساواة .

وتتركز فكرة العدالة في اعتبار الجماعة اساس الكيان الاجتماعي وتتجلى هذه الناحية بقوة في فترة الابداع الحضاري ، في بناء المدن والرياسة ، وهي فنون جماعية ، وفي الفكر والادب والتاريخ ، فسي المدارس الفقهية والتاريخية والادبية التي تربطها الفكرة والمعرفة لا الشخصيات .

ومن قيم المجتمع العربي حرمة العمل وحرمة الكسب باليد . ومع ذلك فقد اعتبرت الملكية في الاصل وظيفة اجتماعية يمكن الحد منها بفرض الضريبة او بغير ذلك بضوء هذا المفهوم .

ومن هذه القيم تقدير العام وتشجيع العلماء وطلبة العلم وتقدير الهيات والمنح لهم وفتح مجالاته دون تمييز ، وبموجب ذلك حب للمعرفة لا يكثر بالشاق والفاقة . وينعكس ذلك في تقديس شامل للعلم لدى العامة والخاصة .

ومن هذه القيم الاخوة الانسانية ، وعدم التفاضل الا بالعمل والخدمة واعتبار العقيدة اسمى انواع الروابط بين الافراد والجماعات .

ان النظرة الانسانية التي تتخلل المجتمع العربي هي من القيم الاساسية التي جنبت المجتمع التمايز بين الناس بسبب الوانهم وأجناسهم ، وحدت من ظهور مثل هذه الاتجاهات المدمرة في المجتمع . كما ان هذه النظرة الانسانية كانت اساس التعاون بين الجماعات وسبب احترام عقائد الاخرين .

ان القيم العربية الاسلامية ، والنظرة للحياة تمثلت قبل كل شيء في الفكر ، وتمثلت في مظاهر من حياة المجتمع . وعلى الرغم من التطورات والانجرافات ، فان الفكر العربي استمر في تاييده عليها ، بل لقد كان التأكيد يزداد كلما اتسعت الشقة بين الواقع وبين الفكر . وبهنا ان نلاحظ ان حياة المجتمع العربي الاسلامي تأثرت بهذه القيم بصورة ايجابية ، ولكن الواقع مع ذلك يكشف عن اوضاع عملية وتطورات لها أهميتها ، كما شهد المجتمع العربي تناقضات خطيرة .

لقد شهد المجتمع العربي قوى متصارعة ، كما كانت له قوى اخرى للشد والبناء . وبهنا ان نتفهم هذه لنرى طبيعة تطور المجتمع وتكوينه .

ولندكر مبدئياً أن المجتمع العربي مر خلال القرن الاول الهجري بصراع ظهرت بعض جوانبه وبقيت الجوانب الاخرى ضمنية وان كانت قوية ، وهو صراع دار بين قوى الثورة الجديدة والبناء وتمثل في المبادئ والاتجاهات الاسلامية ، وبين قوى المحافظة والتجزئة وهي الاتجاهات القبلية . وتمثل هذا الصراع في النطاق السياسي العام وتمثل في النشاط الفكري والاجتماعي وحتى في التطور الاقتصادي ، ولكن الفترة انتهت بانتصا للمبادئ الاسلامية نتيجة قوتها وتوسعها ونتيجة انتقال القبائل في البلاد الجديدة الى حياة مدنية مستقرة . وتكونت احزاب سياسية نشأت نتيجة الصراع على السلطة بين العرب ، وهي احزاب عربية . وعلى الرغم من انضمام غير العرب الى هذه الاحزاب ، الا ان قيادتها وتوجيهها بقيت بيد الفئات العربية . والمهم ان هذه الاحزاب لم تكن تمثل طبقة اجتماعية دون اخرى ، بل كانت شاملة . وظهرت بالتدرج المدارس الفقهية المختلفة ، وهي مدارس تتصف في تفكيرها بالشمول لمختلف نواحي الحياة ، ورغم الخلافات في الاراء فقد كان لكل مدرسة منزلتها واتباعها دون ان تختص احداها بفئة اجتماعية دون اخرى .

وتحول المجتمع تدريجياً الى الاستقرار ، ووافق ذلك تطورات اقتصادية اجتماعية مهمة . ففي البداية كان بعض اهل المدن لا سيما مكة يشتغلون بالتجارة ووجدوا في الفتوحات سوقاً واسعة وتكونت فئة تجارية قوية . اما القبائل فقد عزفت مبدئياً عن الزراعة ، وانصرفت للقتال . ولكن سكانها في المدن الجديدة جعلها تمييل تدريجياً الى الاستقرار والزراعة والى ملكية الارض وظهر ذلك خاصة بين اشراف القبائل . وتحولت دور الهجرة ، وهي المعسكرات الاولى كالكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان ، الى مراكز حضرية مهمة . وبدات التجارة تتسع بالتدرج في آفاقها ونطاقها .

وتدرج الامر قبل نهاية القرن الاول الى ظهور الملكيات الكبيرة على حساب الملكيات الصغيرة . وقد حاول عمر بن عبد العزيز الحد من ذلك ولكنه لم يفلح . ودخل الكثير من اهل البلاد المفتوحة في الاسلام وتوسعت فئة الموالي وكان بينهم التجار والصناع والزراع .

ولا بد ان نلاحظ ان الاحزاب السياسية انتشرت بين القبائل وأضعفت التماسك القبلي . كما ان بوادر تيارات مناهضة للسلطان العربي وللوضع القائم بدأت به بشكل مستور بين فئات لم تسلم او فئات تظاهرت بالاسلام وكلها تستررت برايات عربية اسلامية ، وهي لا تصدق ان تكون استمراراً لحركات اجتماعية ظهرت في المجتمع الساساني في ايران واستمرت بعد الفتح الاسلامي بصورة خفية . كما بدأ تيار المعارضة بين الموالي لدوافع مختلفة تتراوح بين المناداة بالمساواة الاسلامية وبين الطموح الى السلطة .

وجاءت الدعوة العباسية لتضم كافة التيارات المناوئة للسلطان القائم ، وهو سلطان عربي ، وضمت بين صفوف انصارها جميع هذه التيارات وشجعتها ومكنتها من الظهور والاتساع لتجني سياسة التجميع هذه في سلسلة حركات قامت ضد العباسيين وخاصة بين الايرانيين الذين نصرورا الثورة العباسية ، مما لم يسبق له مثيل في القرن الاول الهجري .

ولما جاء العباسيون ، اتسع النشاط التجاري ، وتوسعت الملكيات الزراعية بين العرب ، وظهرت تيارات اجتماعية سياسية جديدة نخص بالذكر منها تياراً قومياً في بعض الجهات وتيارات دينية تنسأهض الاسلام علناً او من وراء ستار . وظهر تيار اخر وراء هذين وهو رد الفعل لدى الفلاحين في بعض المناطق - ولا سيما ايران - ضد توسع الملكيات على حساب المزارعين الصغار الذين خسروا اراضيهم وتحولوا الى اجراء متجولين .

وبهنا ان نلاحظ مظاهر الصراع في المجتمع العربي الاسلامي خلال العصر العباسي لنرى طبيعة الاتجاهات المتصارعة .

لقد تمثلت مظاهر الصراع الكبرى في المجتمع العربي الاسلامي

في القرنين الثاني والثالث للهجرة في المعركة بين العرب والشعبية، وفي المعركة بين الاسلام والزندقة ، وتمثلت في بعض الحركات الاجتماعية الايرانية كثورات الخرمية ، وهي جميعا مظاهر للصراع بين الشعوب غير العربية ، ولا سيما الفرس ، ودياناتها الموروثة من جهة وبين العرب والاسلام من جهة اخرى . ثم ظهرت في القرن الثالث فما بعد حركات اجتماعية في نطاق المجتمع العربي - الاسلامي مثل ثورة الزنج ، وحركات العيارين والشطار وحركة القرامطة والاسماعيلية . وبينما كانت ثورة الزنج محلية في جنوب العراق ولفترة قصيرة (اربعة عشر عاما) فان حركات العيارين والشطار وحركة الاسماعيلية استمرت قرونا مشيرة بذلك الى ازمة اعمق في المجتمع العربي الاسلامي .

ولنتناول هذه الحركات بايجاز لمعرفة وجهتها وللكشف عن طبيعة التناقضات القائمة .

فالمعركة بين العربية والشعبية بدأت بمحاولات شعوب غير عربية لقاومة السلطان العربي المتوثب ، مستترة بمظاهر عربية او اسلامية . وعملت على اضعاف الثقافة العربية الاسلامية والترويج للارث الحضاري الاعجمي ، وحاولت زعزعة السلطان العربي بمهاجمة اركانه ومحاوله هدمها وهي الاسلام والعربية ، كما حاولت تفتيت قيم المجتمع وتسيخ اخلاقه . وقد برز وجه المعركة في النطاق الثقافي والادبي . فانت تجد بين زعماء الحركة شعراء وادباء لهم مكانتهم مثل بشار بن برد وحماد عجرد وابن المقفع ممن لا يزال دورهم موضع نقاش لحد الان . فالشعبوية لم تكن حركة طبقة اجتماعية ضد طبقة اخرى كما توهم البعض ، لان الذين ساهموا فيها كانوا بين وزير متسلط وتاجر ثري وكاتب في الدواوين واديب معروف ، ومعهم اناس مثقفون وان لم يكونوا اقباء . انها كانت صراعا بين العرب وفئات من الشعوب الخاضعة لسلطانهم على العموم ممن لم يتمثلوا المبادئ الاسلامية والمفاهيم الحضارية الجديدة . لذا فاننا نجد بين انصار العربية والاسلام اعلاما لم يكونوا من العرب مثل ابن قتيبة والبلاذري .

ويجنب هذه المعركة ، وتتداخل معها احيانا ، كانت المعركة مع الزندقة . والزندقة في الاصل امتداد لحركة المانوية بعد ان تسترت بمظهر اسلامي . ارادت حركة الزندقة تشويه الاسلام ونسفه من الداخل بعد ان توسع وهدد وجودها ، وارادت ضرب السلطان الذي قام به ، وهذا هو اسلوب المانوية . وقد شارك في المعركة انصار ديانات اخرى مجوسية ولا سيما الزردكية ثم الزردشتية بدرجة اقل . ان الصراع مع الزندقة انما هو صراع بين الاسلام اساس السلطان العربي ، والمجوسية المستترة بمظاهر خادعة . ان توسع الاسلام وقوته العنوية هددت المجوسية بالانحسار المتصل ، فكانت حركة الزندقة ظاهرة لرد الفعل ، وسيبلا لضرب السلطان العربي ، ومن هنا تداخلت الزندقة والشعبوية . وحين نتحدث عن الزندقة لا نتحدث عن صراع اجتماعي بل ديني ولا عن فئات منكودة بل نجد اعلام الزندقة بين الترفييين وبعض المفكرين .

ولم يقتصر الصراع بين الاسلام وبين ما يستند اليه من سلطان وبين المجوسية على الزندقة ، بل تمثل في حركات تبدو اجتماعية ، كحركة الخرمية . ولم تكن الخرمية الا امتدادا للمزدكية ، تلك الحركة الدينية الاجتماعية التي ظهرت في ايران الساسانية ، طلعت الان بثوب اسلامي وصارت حركة الطبقة العامة في ايران في العصر العباسي الاول . فالخرمية هي امتداد لحركة اجتماعية قديمة نشأت عن ظروف المجتمع الايراني ولكنها حولت السخط الى السلطان العربي والسي الاسلام قاعدته بعد ان كانت موجهة ضد السلطان الساساني . والخرمية لم يكونوا مسلمين ولم تكن الفلانة الرقيقة التي اردوها كافية لستر حقيقتهم المزدكية .

واذا كانت حركات الشعبية والزندقة والخرمية مظاهر للصراع الديني السياسي بين شعوب وديانات اجنبية وبين العربية والاسلام ، فاننا نجد حركتين اجتماعيتين صدرتا عن ظروف المجتمع الاسلامي في حركة الاسماعيلية ، وفي ثورة الزنج . وصادف ان بدأت انفجارات

الحركتين في القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي . اما ثورة الزنج ، فهي ثورة الرقيق في سبأخ البصرة حيث كانوا ارقاء لكبار ملاكي الاراضي في منطقة البصرة ، وحيث جمعوا في اعداد كبيرة . ومع ان بعضهم لم يكن يعرف العربية ، وبعضهم لم يدخل الاسلام ، ومع ان جلهم بقي غريبا عن المجتمع العربي الاسلامي الا ان ثورتهم قادها من خرج باسم المبادئ الاسلامية وباسم العدالة ، وكانت تعبيرا عن ثورة الرقيق على وضع لم يروا فيه الا الضنك والحرمان والاستغلال .

ان ظهور الملكيات الكبيرة في منطقة البصرة وتوفر رؤوس الاموال لدى الملاكين واستعمال اساليب الزراعة الكثيفة ادى الى شراء مجموعا كبيرة من الرقيق من تجار الرق الذين كانوا يجلبونهم من افريقية ، والى استخدام الالوف من الرقيق السود لكسح السبأخ حول البصرة ولاستصلاح الاراضي وزرعها . لقد عاش هؤلاء على هامش المجتمع الاسلامي ولم يروا الا العمل المضني والاستغلال الفظيع الذي يتنافى وابسط المبادئ الاسلامية ، فكانوا في وضعهم المعاشي السيء وفي تجمعاتهم الكبيرة على الارض حقلا خصبا لكل نداء يصدر باسم العدالة الاجتماعية . وجساء النداء باسم المساواة وباسم المثل الاسلامية .

ومهما قلنا في دوافع صاحب الزنج ، وفي ثقافة الزوج ، فان ثورة الزنج كانت نتيجة استغلال بشع يتنافى ومبادئ الاسلام ، وظاهرة لصراع مرير بين فئة الرقيق السود وبين المجتمع المائل امامهم في اصحاب الاقطاعيات والملاكين الكبار في منطقة البصرة . ولكنه صراع لم يكن واضح الاهداف ، فهو لم يقصد الا تحرير الرقيق السود ، ولكن الثوار ذهبوا الى فرض الرق على الاسياد حيث قدروا ، وارتكبوا من التخريب والفضائح ما اثار الغاصي والداني عليهم مما ادى الى سحق ثورتهم ومحو اثرهم .

اما حركة القرامطة والاسماعيلية فقد كان لها معنى اوسع واثرا ابقى . لقد ظهرت الحركة في فترة تركيز التطور الاقتصادي والاجتماعي . ومع ان الحركة الاسماعيلية انتشرت وبدا نجاحها بعد منتصف القرن الثالث للهجرة فانها بدأت في القرن الثاني ، وهذا يعني انها انتشرت حين تسوفرت الظروف العامة - اقتصادية واجتماعية - المواتية لنجاحها . فهي نتاج تفاعل الفكر والوضع القائمة الاقتصادية واجتماعية وسياسية .

لقد حدثت تطورات هامة في المجتمع منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . فقد نشطت التجارة في المجتمع واتسعت افاقها وظهرت طبقة من التجار الكبار لها رؤوس اموال كبيرة وخبر مثل لهؤلاء التجار ابن الجصاص الذي بلغ رأسماله ملايين الدنانير . وامتد نطاق التجارة العربية من كوريا الى البلطيق وتغلغل في افريقيا واجزاء من اوروبا . ويسر النشاط التجاري قيام فئة من الصرافين والجهابذة الذين يتعاملون بالنقد ويقومون بدور البنوك في العصر الحاضر بتسيير عمليات الائتمان والتسليف ، وكان جلهم من غير المسلمين . ووصل الامر في مطلع القرن الرابع الى قيام مصرف رسمي تعتمده الحكومة . وشهدت الفترة توسع الزراعة وظهور اساليب الزراعة الكثيفة وظهور الملكيات الواسعة ولا سيما في السواد وقيام فئة من الاقطاعيين الثريين ، ورافق نشاطهم كثير من الاستغلال وازدياد عدد الفلاحين الاجراء والمتجولين ، فكان هؤلاء الفلاحون بيئة ملائمة لكل الدعوات التي تعد بتحسين الاوضاع .

وفي هذه الفترة اتسعت العامة في المدن وظهرت حركات يبين العامة وبين اصحاب الصنائع والحرف ، وذلك - في تنظيمات تهدف الى حماية مصالحهم كما كان شأن الاصناف والنقابات الحرفية ، او في حركات تمرد متصل بنطوي على الثورة على الاوضاع كما في حركات العيارين والشطار .

ان ظروف قيام الحركة الاسماعيلية تكشف عن تضارب المصالح وعن الصراع الاجتماعي والاقتصادي . ومع ان جذور الحركة تتصل

كعامل الزجاج والسكر والورق والجلود والنسيج . وكثرت مجموعاتها
اهل الصناعات والحرف ونظموا انفسهم في اصناف ونقابات لها مفاهيمها
وشعارها ولها اثرها في الحياة الاقتصادية .

وقد عملت النقابات والاصناف المهنية على تحسين الانتاج
ورفع سوية الصناعة ، وعلى تنظيم الاسعار . كما انها عملت على
حماية الصناع ، وعلى تنظيم حياتهم . وكان لكل حرفة درجاتها في
الصنعة ولها ممثلها امام السلطات . وحاولت السلطة من جانبها ان
تضع رقابة على نوعية الانتاج وعلى سلوك الاصناف ، وتمثل ذلك في
توسيع سلطة المحتسب واعوانه ليشرفوا على الاسواق حيث تتجمع
الاصناف . ويهمن ان نذكر ان الاصناف والحرف كانت تربطها جنب
رابطة المهنة قيم خلقية واجتماعية اسلامية ، وانها اتصفت بالتسامح
فسمحت للصانع بالانضمام اليها بصرف النظر عن اديانهم واجناسهم
وهذا ما لم تعرفه النقابات الأوروبية في العصور الوسطى لانها كانت
تبعد عن صفوفها مخالفيها في المذهب او العقيدة كما انها لم تلتزم
بمثل هذه القيم الخلقية الواضحة . وكان دور الاصناف كبيرا في
الحياة الاقتصادية وحيانا في الحياة العامة .

واذا كانت الاصناف تمثل الجانب السلمي من تنظيمات العامة ،
فان حركات العيارين والشطار تمثل رد فعل عنيف للاوضاع الاقتصادية
والسياسية . ويهمن ان نوضح ان العيارين والشطار ظهروا في
صفحات التاريخ بمظهر اللصوص والتهابين ، ولكن كانت لهم تنظيمات
سرية ، تشبه النقابات ، وكانت لهم شعارهم . كما انهم تبلورت
لديهم قيم خلقية في الفتوة . وكانت وجهتهم مقاومة السلطة ، وعدم
التعرض للضعفاء والنساء بل انهم ادعوا ان المرين اهلوا مبادئ الدين
ونصوص الشريعة فاستقلوا وآذوا الفقراء والضعفاء وان العيارين قاموا
لاخذ حقوقهم المهذورة عنوة . وكانت هجماتهم تتركز على رجال الشرطة
وعلى التجار . وقد قاموا في بعض الفترات القلقة بحفظ الامن
ومكافحة الغزاة الاجانب كما فعلوا في حصار بغداد في منتصف
القرن الثالث . ولا ننسى ان نشاطهم قوي فسي فترات التسلب
البويعي والسلجوقي .

بعد هذا ، نود ان نشير الى جانب اخر ، وهو ان الاقطاع الذي
عرفته أوروبا والذي عم ارجاعها لم يجد له مثيلا في المجتمع العربي
الاسلامي وذلك لان التجارة كانت دائما عاملا مهما في الحياة الاقتصادية،
ولان الطرق التجارية برية وبحرية كانت مفتوحة بين البلاد الاسلامية
والخارج . ومن جهة ثانية نجد العرب في اثناء قيامهم بالفتوحات
يعتبرون الفلاحين احرارا ولم يقرروا رق الارض ، ولم يعترفوا
بالاقنان (وهذا ما يفسر اللجوء فيما بعد الى شراء الرقيق الاسود
لاستخدامهم في منطقة البصرة وغيرها) . ولكن هذا لم يمنع ظهور
اقطاع من نوع اخر وهو قيام الملاكات الكبيرة على حساب الملاكات
الصغيرة وتكاثر الفلاحين الاجراء واستغلالهم من قبل الملاكين
الكبار .

وهكذا كان منتظرا في هذه الاوضاع الاقتصادية التي تبلورت في
القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي - ان تصطبم المصالح
وان يتعرض المجتمع لهزات اجتماعية خطيرة وتمثل ذلك في حركة
الاسماعيلية ، وهي ثورة شاملة ، وفي حركات اخرى كحركات
العيارين والشطار .

ولكن المجتمع عرف جوانب اخرى . فقد كانت هناك بعض
الخدمات التي تقدمها الدولة لفئات الشعب . هناك المستشفيات
التي تنشئها الحكومة للعناية بالمرضى وللعلاج المجاني ، وهناك الوقوف
الخيرية الواسعة والهبات للمحتاجين والفقراء والتعليم . هذا
اضافة الى الزكاة .

ويمكن ان نشير الى محاولات الحكومات احيانا الى مكافحة
الغلاء وتخفيض الاسعار انقاذا للناس من الهلاك . كما نلاحظ محاولات
الحكومة احيانا لتسليف الزراع ومعاونتهم لتشجيع الزراعة وتربية
- التتمة على الصفحة ١١٣ -

بالفعل الذي ينطوي على اراء غريبة عن الاسلام ، الا انها طلعت باسم
العدالة الاجتماعية . لقد دعت الحركة الى المساواة في نطاق المبادئ
وانكرت الفوارق العنصرية باسم الدين ، وازادت حسب دعوة اصحابها
ان تكسب الناس جميعا وان تصهرهم في نطاق مبادئها واراتها .
وعملت الدعوة الاسماعيلية على احداث ثورة تقب الاوضاع السياسية
وغيرها ، واخذت من كل الجماعات المتدمرة سلاحا لقلب
الايوضاع .

ولا بد ان نبين ان هذه الحركة اتخذت اشكالا وبرامج مختلفة
حسب البيئات التي عملت فيها ، وهذا يوضح التباين في برامجها
العملية . فقد دعا القرامطة في السواد الى نوع من الشيوعية حيث
لا ملكية فردية ، وليس للفرد الاسلحة ، وحيث يأخذ كل قدر حاجته
ويعطي للجماعة كل انتاجه . واهتم الفاطميون في مصر بزيادة الانتاج
وتحسين الوضع المعاشي ورعاية اصحاب الصناعات والحرف ، وابدوا
تسامحا كبيرا مع جميع الفئات ، ولم يبعد نظامهم كثيرا عن الاوضاع
في البلاد العربية الاخرى .

اما في البحرين فقد دعا القرامطة الى نوع من الاشتراكية ، اذ
اعتمدوا الاقتصاد الموجه وعملوا على الغاء الرق وعلى تسليف الزراع
ومساعدة الصناع ماديا وادبيا وتشجيع انتاجهم ، وسيطروا
على التجارة الخارجية وسكوا عملة خاصة لمنع تسرب الثروات
للخارج .

ومن الجدير بالذكر ان الحركة الاسماعيلية نجحت في الوصول
الى الحكم ودامت في بعض البلاد العربية مثل اليمن ومصر والبحرين
ولكنها اخفقت في سورية والعراق . لقد نجحت في مصر والبحرين
لانها وضعت تدابير اقتصادية فيها شيء من العدالة الاجتماعية
عالجت ظروف المجتمع العربي الاسلامي ، فتمكنت من الاستمرار . اما
في العراق فقد جاءت بتدابير تناقض قيم المجتمع ومفاهيمه ولذلك
لقيت منه اعنف مقاومة وانتهت في فترة قصيرة . وفي سورية لم ير
المجتمع منها الا العنف والتنكيل فنبذها وحاربها دون هوادة . ولم
تنجح الحركة في ايران ، وانما تركزت في حركة ارهابية هي حركة
الحشاشين التي شكلت تهديدا شاملا للمجتمع الاسلامي معتصمة في
قمة جبل حتى لقيت حتفها .

ان تحليل ظروف الحركة الاسماعيلية وانتشارها يكشف عن
الفوارق الاقتصادية وعن تضارب المصالح وعن دور المصالح الاقتصادية
في التاريخ ، ولكنه يكشف ايضا عن دور الافكار والاراء الدينية في
تحريك الجماعات وفي اندفاعها . ومهما قيل عن الجذور الفكرية للحركة
وعن تطورها فان دعواتها وجدوا في مبادئ العدالة الاجتماعية فسي
الفكر الاسلامي سبيلا لبث دعوتهم ، ووجدوا في التناقض بين هذه
المبادئ والواقع مجالا رحبا لترويج دعوتهم .

وبعد كل هذا فان الحركة الاسماعيلية لم تدم لانها جاءت براء
لا تأتلف والمفاهيم الهامة ، ولذا كان زوالها شاملا الا في اماكن معزولة .
في هذه الفترة نشطت الصناعة وتوسع نطاقها ، وظهرت المعامل

في البحرين

تطلب ((الاداب)) وكتب ((دار الاداب))

من

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المنبهي

الجذور التاريخية للاشترابية العربية

— تنمة المنشور على الصفحة ٢٢ —

وفرض الاسلام تقسيم الميراث ، ولم ينتج المجتمع الى حصره في وريث واحد كما حصل في المجتمعات الاخرى . وكان ذلك سبيلا لتحقيق العدل ولمنع تكديس الثروة بأيدي قليلة . ومع ان الفكر اتجه الى عدم فرض ضريبة على الموارث الا ان البعض رأى ذلك واجاز التوسع في فرض الضريبة للصالح العام .

عرف المجتمع العربي تلك التطورات الاقتصادية التي ادت الى حدوث هزات فيه . ولكن الوضع اصابه تحول خطير حين خضع للسيطرة الاجنبية ، بويبية ثم سلجوقية . ادت هذه السيطرة الى تضائل الخدمات الاجتماعية او انعدامها ، وادت الى استغلال خيرات البلاد من قبل الاجنبي وعلى حساب ابنائها . وادخل هؤلاء المحتلون الاقطاع العسكري او اعطاء الاراضي المزروعة للقادة والامراء لينتفوا بمواردها دون ان يعنوا بري الارض او بالزراعة . وضعف النشاط التجاري ، وظهرت فئة من الاتباع والمستقلين يتعاونون مع الاجنبي على افقار المجتمع واستغلاله . وحاول الاجانب اثاره اسباب الفرقة من نعرات مذهبية الى تمييز عنصري .

وكان من اثار ذلك ان اهمل نظام الري وكثرت الضرائب ، فتدهورت الزراعة ، واستشرت البداوة على حساب الحاضرة ، وتدهورت حركة التجارة ، وشاعت الفوضى والفتن . واصبحت هذه قصة البلاد في فترات التسلط الاجنبي التي دامت قرونًا طويلة .

وعلى الرغم من هذا الانحلال ، فان الفكر لم يركد ، بل استمر نشاطه فترات طويلة ، ولاسيما في المدارس التي ازدهرت منذ القرن الخامس الهجري - الحادي عشر للميلاد . ومع انه فكر يقل اصالة عن الفترات الماضية ، الا انه لم يعدم مفكرين افاضوا . والمهم فيه انه حفظ مفاهيم الفكر العربي الاسلامي في العدالة الاجتماعية والحياة الكريمة ، وحفظ جذوة الحرية والكرامة .

ومن ناحية اخرى ، ادت السيطرة الاجنبية وما رافقها الى افقار الشعب والى هبوط مستوى المعيشة الى درجة بعيدة . ومن مظاهر ذلك انسا نجد بين صفوف العيارين والشطار جماعة من الطالبيين والعباسيين .

ان سيطرة الاجانب ادت الى توسع حركات العامة ، كما يظهر من اشتداد حركات العيارين والشطار ، والى توسع حركة الفئات الشعبية ضد السلطة الاجنبية ، والى ظهور وعي لم يسبق له مثيل . وحين ننظر الى حركة العامة ، ولا سيما في القرن الرابع وما بعده ، نجد انها تتخذ فيما خلفية واضحة مكنت من اعادة تنظيمهم في حركة الفتوة في اواخر القرن السادس الهجري من قبل الناصر لدين الله . لقد كان للامة تنظيماتهم ، في نقابات واصناف ، وكانت لهم حركاتهم التي اتخذت طابعا سلبيا في الظاهر حتى انها وباللصوصية وبالعبث بالامن ولم تكن القيم الايجابية لديهم مفهومة ومنها مساعدة الضعيف ومكافحة المستغلين من تجار ومتنفذين . ولكن الحركة بعد التسلط الاجنبي اتخذت طابعا شعبيا توسع بمرور الايام وتعاونت مع العباسيين في اواخر ايامهم ضد الاجنبي وتلاحمت تنظيمات العامة في حركات الفتوة التي رأت الصلة بين التسلط الاجنبي وبين الاستغلال والظلم . ويات من اهدافها تحقيق العدل ، ومكافحة الفوضى ، وحماية المظلومين ومكافحة الطغاة .

لقد كان الوعي العربي قويا قبل هذه الفترات المتأخرة ، وكان يتمثل في الكتاب وفي فئات من المتنفذين ، وكان يستند الى العربية والى المبادئ والقيم العربية الاسلامية . ولكن التسلط الاجنبي وسع قاعدة الوعي ، وجعله يتمثل في القاعدة الشعبية وفي الفكر . وقد تبته العباسيون الى اهمية القاعدة الشعبية في اواخر القرن السادس ، حين اتفقوا مع الحركة الشعبية في تنظيم الفتوة ، وحين ترأس الناصر لدين الله هذه الحركة وحين حاول جعلها سندا لكيانه وحاول بثها في الافاق وجعل مرجعها اليه . حدث هذا التطور الخطير بعد فوات الاوان اذ سرعان ما غمرت الموجة الموقلية كل شيء وبقي

الماشية . وجرت محاولات لتخفيض الضرائب على انواع من البضائع المستوردة تسييرا للناس وتشجيعا على توفيرها . كما نجد محاولات لمكافحة الاحتكار ولا سيما احتكار الاطعمة والمواد الغذائية لوضع حد لاستغلال التجار الجشعين .

كل هذه التدابير لا تعدو ان تكون اثرا لفكرة العدالة التي عرفها المجتمع والتي توخت التخفيف عن كاهل العامة ، ولكنها كانت محدودة الاثر .

وجرت محاولات لفرض ضريبة على الموارث ، وكانت الضريبة المفروضة احيانا تبلغ النصف او اكثر . ولكنها وجدت مقاومة ولم تستقر كضريبة مشروعة .

وان اردنا امثلة اخرى فاننا نجد في نطاق محدود . ففي البحرين مثلا نجد قيادة جماعية باسم مجلس العقديانية تحكم البلاد . ونجد الحكومة تسيطر على التجارة الخارجية وتسك نقدا من الرصاص وذلك لمنع تسرب الثروة الى الخارج ولتأكيد سياسة الاكتفاء الذاتي والاقتصاد الوجه . كما ان الحكومة حاولت تشجيع الزراعة والصناعات عن طريق التسليف واعادة النظر في الضرائب وعملت على القضاء الرق . وهي تدابير اريد بها تحقيق العدالة الاجتماعية . وهي ان دلت على شيء فانها تظهر مجالات تطبيق العدالة بفسوء الفكر العربي الاسلامي .

ونود ان نذكر اننا لا نؤكد هذه التدابير لنتخذها سبيلا لتبوير اتجاهاتنا الحالية ، بل يهنا ان نتضح الاراء والمفاهيم التي كانت وراء هذه التدابير والتي تكون جزءا من تراثنا الحي ، ومن قيمنا الاصيلية .

ويمكننا ان نتحدث عن بعض هذه المفاهيم بوضوح . فهناك انكار الاستغلال الذي يؤدي الى اكتناز الاموال والامعان في التسلط على الاخرين . لقد انكر الاسلام ذلك لكي لا تكون هناك دولة بين الاغنياء .

ويتصل بذلك تحريم الربا ، وهو اوضح وابشع ضروب الاستغلال في مجتمع مكة التجاري . وقد هاجم الاسلام الربا اقسى هجوما لانه كان طريق الاغنياء لاستعباد الفقراء . واكد الاسلام على حرمة العمل بانواعه وضروبه ، وهي نظرة تخالف النظرة البدوية التي تحتقر انواعا من العمل ، وفضل الاسلام العمل على العبادة مع التوكل ، وهي نظرة ازدادت قوة في الفكر العربي الاسلامي على مر الايام ، وحث على الكسب على ان يكون بطرق سليمة وشريفة وعلى ان لا يكون سبيلا للاضرار بالآخرين .

واتجه المجتمع الاسلامي في فترته الاولى ، حين فرض لكل من شارك في الفتوح او الهجرة الى خارج الجزيرة مرتبات وعينات من الاطعمة ، الى تقليل الفروق بين الرواتب وكان حدها الأدنى يمثل مستلزمات المعاش الضروري . وهو اتجاه استمر اثره في الفكر العربي الاسلامي .

واعتبر الاسلام الموارد الطبيعية الرئيسية ملكا مشتركا للامة ، ثم شمل الاراضي وطبق ذلك على الاراضي المفتوحة . واعتبر العادن في جوف الارض ملك الامة في الاساس تستغلها مباشرة ان ارادت او سمح باستغلالها على ان يكون خمس واردها لبيت المال .

وبجنب ذلك ترك الاسلام مجالا للنشاط الفردي . فالارض الموات في الاصل للامة ، لها ان تحييها وتفيد منها ، ولها ان تسمح للأفراد باحيائها . وكذا الامريالمنسبة للمعادن فهي في الاصل للامة وقد تسمح الحكومة للأفراد او الشركات باستغلالها مقابل دفع الخمس ، كما حصل بالنسبة للمناجم على حدود النوبة .

الشعب العربي يصارع الكوارث والاحداث .

لقد ارتبطت فكرة الحرية والعيش الكريم بمفارقة التسلط الاجنبي ومكافحة استغلاله والتخلص من ركائزه . واتخذ الوعي العربي صفة شعبية استمرت خلال تلك الفترات ، يعززها التراث العربي والمبادئ الاسلامية . ومع ان الوعي هذا بدأ مبعثرا او مجزءا في فترات مختلفة الا ان جذوره الموحدة استمرت ووجد احيانا بين المفكرين من يفتديه ، وفي الاحداث ما يذكي جذوته .

وبقي الوعي العربي يستند الى مصادر حيوية ، فيجد فسي العروبة وفي الارث الثقافي العربي قاعدته واساس وحدته ، على الرغم من التجزئة المصطنعة والمحاولات المتصلة لطمس ذاته ، ويجد في المبادئ الاسلامية وفي القيم الخلقية والمثل الانسانية روحه ومنبع حيويته .

ومع ان تاريخ الامة يكون سلسلة متصلة الحلقات ، بمعنى ان كل حلقة تؤدي الى التي تليها ، فان بعض فترات تاريخ الامة تبقى مصدر حيوية في تطلعها الى حياة افضل . ولذا نجد الامة العربية فسي يفتتها الحديثة واندفاعها القوي تطلع الى تلك الفترات التي تمثلت بالحيوية والابداع والتكوين الحضاري ، الى فترات التاريخ العربي الاسلامي الاولى ، فترات الفتوة والبناء . وطبيعي ان تتخطى الامة العربية وهي تستعيد ذاتها وتستلهم ارثها وقيمتها ، طبيعي ان تتخطى فترات الخضوع والركود وان تنظر الى فترات الابداع الحضاري لتنفذ عنها الرواسب ، ولتفتدي جذور الحياة فيها وتقنيها في سبيل بناء حياة جديدة .

والحياة الجديدة لا تبنى بالتأملات النظرية ، ولا تقوم بالاراء المجردة ، بل هي عملية تجديد عضوي وبناء متصل . انها تبعث نتيجة تفاعل عاملين اساسيين ، اولهما عامل الوعي الذاتي الذي لا يخبو مطلقا ، لكنه يقوى في بعض الفترات ويضعف في فترات اخرى . وفي هذا الوعي الذاتي تتمثل اسس حيوية الامة ومنابع قوتها . وهو كلما اتسع وازداد عمقا ازداد ارتواء من تلك المنابع ، وازداد اصالة ونفوذ عنه الرواسب وارتفع عن التقليد ، والفرق كبير بين التقليد وبين الاخذ الذي يزيده قوة وغنى . وثاني هذين العاملين ، التحديات التي يتعرض لها الوعي ، وهي تحديات خارجية وداخلية . ولقد تعرض الوعي العربي عند بزوغه في العصر الحديث لتحديات داخلية ، تتمثل في التخلف والركود وفي الاستغلال الاجنبي والمصالح المربكة . ثم تعرض المجتمع العربي في اواخر القرن التاسع عشر لتحديات زمرة الاتحاد والترقي في محاولة يائسة لتتريكة ولطمس ثقافته وذاته . ثم تعرض لتحديات الغزو العربي ، التي بدأت فكريا واقتصادية ، ثم طفت في الغزو العسكري والسياسي . وهي تحديات ندر ان شهد المجتمع العربي لها مثيلا في الاتساع والشدة والاستغلال . تعرض المجتمع العربي لهذه التحديات ، وهو مجزء ، يقاسي البعثة والضياح ، وهو متخلف غير متهيأ لهذه الاخطار ، فكان بين ان ينهار ويفقد ذاته وبين ان يأخذ طريق الكفاح الشاق المتصل ليجد الحياة التي يريد .

وكان امام المجتمع ان يعزل نفسه عن التيارات الحضارية الحديثة لارتباطها بمصادر الاعتداءات والاستغلال ، كما اراد البعض ، وبين ان يفيد من انجازات خصومه ومن امكانياتهم واسلحتهم ، ليكون في وضع اقوى على مجابهة الاخطار ويكون اقدر على تجديد ذاته كما اراد آخرون ، فاختر السبيل الثاني بعد جهد وجهاد طويلين .

ولسنا هنا بصدد تحليل تطور الوعي العربي فتلك قصة طويلة ، ولكننا نريد ان نلمس بايجاز خطوط مراحل التي ادت الى الثورة العربية الشاملة التي نمر بها والتي رسمت اهدافها الكبرى بالحرية والوحدة وبالعدالة الاجتماعية ، او الاشتراكية العربية ، وهي اهداف متشابكة شاملة ، وان نرى صلة هذا الوعي بجذوره الحضارية وبترائمه .

بدأ الوعي العربي الحديث قبل اكثر من قرن بين فئات من

الثقفين الواعين ، وربط التخلف والاستغلال بالتسلط الاجنبي ، وهي صورة طبيعية تكونت لدى المجتمع منذ قرون واكدتها الفترات السود المتعاقبة مذ فقدت الامة حريتها . بدأ الوعي ذاتيا ورأى في الخطر الاجنبي حافزا لاصلاح الذات وللعمل .

والتفت ممثلو الوعي الى التراث بما فيه اللغة يحاولون احياؤه وتسييره ، ورأوا في التاريخ سبيلا لتكوين الثقة بالنفس ، ولكنهم نظروا اليه نظرة عاطفية استمرت مدة طويلة . ورأوا في صدر الاسلام مثلا يرجعون اليه يستلهمون مثله ويستتيرون بمبادئه . وكان الهدف الذي ارادوه بث الحيوية في مجتمع راكد والعمل على التجديد وعلى التحرر من التسلط الاجنبي . ورافقت ذلك نظرة عاطفية الى الوحدة ، لا سيما ان جل البلاد العربية كانت تحت الحكم العثماني .

وجاء التحدي الغربي ، ثقافيا واقتصاديا ، وبدأ تسلط الغرب على اطراف العالم العربي في شمال افريقيا وعلى سواحل الجزيرة العربية ، وبدأ يهدد قلب العالم العربي ، وتأثر البعض بالفكر الليبرالي وبمبادئ الثورة الفرنسية وانسجت الدعوة الى الحرية . وكانت خطوط الحيوية تتمثل في الدعوة الى تجديد الاسلام وفي العمل على تأكيد العروبة ، وكان الخطان متداخلين . وظهرت الجميحات العربية لتقوم بدورها في التوعية . ثم ظهرت الدعوة صريحة الى التحرر والاستقلال .

وطفت الموجة الغربية سياسيا وشهد المجتمع العربي الجزأ بين دول الغرب في العقد الثاني من القرن العشرين مرارة التجزئة العنيفة وخطر فقدان الذات والانجراف في الموجة الغربية . وكان التحدي عنيفا قاسيا للوعي العربي اكد مقاومته ووسع افقه ، وشهد المجتمع العربي انواعا من الاستقلال الاقتصادي والتسلط السياسي لم يشهد مثله . وكان التحدي شديدا .

وجاءت ردود الفعل متماثلة في الخطوط العريضة ، ولكن التجزئة شغلت كل جزء بنفسه . وازداد الوعي العربي قوة في السعة والعمق ولم يعد الاتصال والتجاوب بين الاجزاء . واتجه الجهاد العربي الى التحرر السياسي من الكابوس الاجنبي من جهة والى العناية بالتراث لحفظ الذات . وكان الراي ان التخلص من الاستعمار يعني تحقيق الحرية والتخلص من الادواء والمشاكل . وبدأت الاحزاب

شعر

من منشورات دار الاداب

٣٥٠	للشاعر القروي	الاعاصير	●
٢٠٠	لفدوى طوقان	وجدتها	●
٣٠٠	» »	وطني مع الايام	●
٢٥٠	» »	اعطنا حيا	●
٢٠٠	لاحمد ع. حجازي	مدينة بلا قلب	●
٢٠٠	لشفيق المعلوف	عيناك مهرجان	●
٣٠٠	لعبد الباسط الصوفي	ايات ريفية	●
٢٠٠	لفواز عيد	في شمسي دوار	●
٢٠٠	لهلال ناجي	الفجر آت يا عراق	●
٢٠٠	لعبدان الراوي	المشاق والسلام	●
٢٠٠	لخالد الشواف	حدا وغناء	●
٢٠٠	لحمد الفيتوري	عاشق من افريقيا	●
٢٥٠	لصلاح عبد الصبور	احلام الفارس القديم	●

السياسية تظهر لتقوم بدور في التوعية وتساهم في الحركة بدرجات مختلفة .

شهدت البلاد العربية سلسلة من الثورات المسلحة ضد الاستعمار في البلاد العربية في آسيا وأفريقيا ، وكانت هذه الثورات منفصلة في البدء ، وان وجدت صداها الفعال في البلاد الأخرى . وكانت جميعا تدعو الى الاستقلال والى طرد الأجنبي . وحصلت بعض البلاد العربية على نوع من الكيان . وصحب ذلك دعوات الى برامج اصلاحية لم تنفذ بعيدا ولم تحدث تغييرات اساسية . وامتدت قاعدة الوعي وبدأ يتغلغل بشكل محدود ومتدرج بين الجماهير .

وفي هذه الفترة لم تتعد الدعوة للوحدة حدود الشكليات . وعلى الرغم من انتشار التعليم والثقافة لم تحصل اصلاحات تذكر في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية . ولم يستند الحكم الى الشعب على الرغم من الأشكال البرلمانية التي خدمت المصالح القائمة . وبرزت المصالح المرتبطة بالتجزئة والنظرات المتصلة بها ، كما ظهرت مصالح ترتبط بالدول المتسلطة وقامت مصالح اقتصادية جديدة ، ترتبط بأوضاع التبعية . وهكذا ظهرت الكيانات بانواع جديدة من التبعية . وتبين ان احياء التراث وحده والتعمد بالماضي بروح عاطفية قد يؤدي الى التواكل والى نسيان الحاضر ومتطلباته . وعصفت بالمجتمع العربي تيارات من الآراء الغربية ودخلت في دوامة الآراء المصطرفة وكان المجتمع فراغا مفتوحا لكل وارد ووافد .

وتعرض المجتمع العربي من جديد ، مع التجزئة القائمة ، الى اقسى التحديات الغربية في كارة فلسطين التي كشفت بدورها عن هزال الكيانات وعن دور التبعية وتركزها وزيفها وعن اخطار التجزئة على الوجود العربي . وكشفت هذه الكارثة عن الهوة الواسعة بين الجماهير وبين الفئات الحاكمة . لقد تحدثت هذه الكارثة طاقات الامة العربية ووجودها ، ودفعت بها في طريق الكفاح الجديد طريق الثورة العربية .

ثم جاء العدوان الثلاثي ليخبر الامة العربية بين طريق الكرامة وبين الانحدار الكلي الى التبعية والعبودية . وكان اثره بعيدا فسي توضح الطريق الثوري بكشف جذور التبعية المحلية والاستقلال المحلي وفي الانجاه الى خط التحرر والعدالة الاجتماعية .

وكان لفترة الحرب الثانية دورها في توجيه الانتباه الى النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، كما ان الحركات التحررية في اسيا كان لها اثرها الملموس في البلاد العربية .

وكان من اثر هذه العوامل والاضواح ان الوعي العربي فسي منتصف القرن الحالي بمرحلة نقد جذري للذات . لقد تكون مفهوم جديد للتحرر وهو التخلص من كل انواع التبعية والتخلص من الكيانات المقرونة بالتبعية . وتكون مفهوم جديد للحرية ، لا عن طريق الشكليات البرلمانية التي تخفي وراءها تحكم فئة محدودة ، بل باستناد الحكم الى الجماهير والارتكاز الى القواعد الشعبية . وتبين ان الدعوة الى الإصلاحات التدريجية في عالم سريع الحركة والتحول لا تعني الا تأكيد التخلف. وبقاء التبعية بشكل او باخر ، وان لا طريق الا بالتغيير الجذري الذي يتخطى التخلف ويدفع بالطاقات العربية الى اقصى امكانياتها في البناء .

وتبين ، نتيجة اتساع الوعي العربي وعمقه ، ان كل تغيير لا يضع مصلحة جماهير الشعب في الأساس ولا سيما في الحقل الاقتصادي والاجتماعي لن يكون له اثر يذكر غير تأكيد التبعية والاستقلال بشكل او باخر . بل ان التغيير الجذري لا معنى له ولا وجود الا ان يكون لصالح الجماهير ليكونوا قاعدته واساسه . ومن هنا برزت العدالة الاجتماعية ضرورة اولية في الحديث عن اي بناء متين .

وقبل هذا كله وبعده ، بدأ يتضح ان احياء التراث والعناية بالعربية وحدها لا يكفي ان اردنا ان يكون البناء عربيا في جوهره يمثل قيم الامة ومبادئها الانسانية . واتضح ان كل بناء لا يمثل نظرة الامة للحياة وقيمها ولا تكون جذوره في التربة العربية لا يمكن ان

يرسخ وان يحقق امكانيات الامة واهدافها .

بضوء هذا ، وجب فحص ارث الامة وتقييمه ، والكشف عن مصادر حيويتها وطاقاتها واتخاذ المثل والقيم والاتجاهات التي يمكن الركون اليها في البناء الجديد الذي نريد . وكان طبيعيا ان نجد في المبادئ الاسلامية بنظراتها الانسانية وبمفاهيمها التعاونية وفي القيم الروحية والمثل الخلقية اساسا للبناء ، وهذا منطوق واضح في طريقة عملنا وتفكيرنا .

اننا حين ننظر الى التراث وما يحتويه من مبادئ حية ومثل وقيم وما ينطوي عليه من خبرات انما نريد ان نتفهم جذوره هـذه الاتجاهات الثورية في الوعي العربي الان . اننا لا نريد البحث عن تبريرات لآراء سبق ان نادينا بها بل لنكشف ان هذه الآراء تعبير ذاتي عن طبيعة الوعي الثوري واتجاهاته .

لقد اكدنا تراثنا الفكري على منع الاستقلال باشكاله فانكر الاحتكار مثلا لئلا يتحكم البعض في حياة الناس ومعاشهم . وحرم الاسلام الربا ليمنع نوعا بشما من الاستقلال واتجه الى الحد من الفوارق في الملكية لكي لا تكون بين الاغنياء دولة وليمنع تحكم فئة في اخرى . ويتمثل هذا في تصنيف الاعطيات والرواتب زمن الراشدين كمحاولة عملية لتحقيق ذلك . هذا هو المبدأ الذي يتخلل الفكر العربي، وجاءت الانحرافات العملية وعرضت المجتمع لهزات خطيرة يمكن ان تكون حافزا اخر للسير في طريق العدالة الاجتماعية .

ويرتبط بهذا المبدأ المحاولات الواسعة لتيسير التعليم وتوفيره ، وتوفير العناية الصحية بالمستشفيات المجانية في المجتمع العربي ، والمحاولات التي اتخذت لتوفير الرعاية الاجتماعية .

وفي تراثنا تأكيد للتعاون كأساس للعمل وتكران الذات الفردية في ذلك . وكان هذا المبدأ من اهم الاسس التي قام عليها المجتمع في دور تقدمه وابداعه . ظهر هذا المبدأ في التعاون الزراعي في القرى في بعض البلاد العربية ، وظهر في نطاق العمل وتنظيماته كما ظهر في المجال الاجتماعي .

ومن المبادئ التي اكد عليها الفكر العربي الاسلامي تأكيد حرمة العمل ، والبحث على الكسب الحلال وترك التواكل ، لضمان العيش الكريم . وهو تأكيد تحوطة قيم خلقية اساسية ، منها تحديد هذا العمل بخير الامة ومصالحها وان لا يكون سبيلا للاضرار بالآخرين .

ويتصل بهذا طبيعة الملكية الفردية ، فهي وان كانت محترمة الا انها لا تعدو من حيث المبدأ ان تكون وظيفة اجتماعية ، ولالامة ان تنتهج حيالها ما تراه اضمن لمصلحتها بالتقييد او الحد او التوجيه . ويمتد هذا الى الضرائب التي تفرض وهي في الاساس ضرائب يراد بها خدمة المجتمع لتقليل الثروة في جهة وتقديم العون الى المحتاجين ولكنها لم تؤد الى النتيجة المنطقية بعد التطورات العملية . كما ان نظام الارث استهدف منع تكديس الثروات والوقوف في وجه التسلسل الاقتصادي .

وهناك مبدأ اساسي ، وهو ملكية الامة لمصادر الثروة في المجتمع او لوسائل الانتاج وكذا للمرافق العامة الاساسية . فالارض والماء والمراعي هي ملك الامة والمعادن هي في الاساس ملك الامة تديرها وتشرف عليها الحكومة باسمها ولمصلحتها . وليس التأميم الا ملكية الامة لوسائل الانتاج واشرفها على طريقة استقلالها لمصلحتها .

وقد سيطرت الدولة على بعض الصناعات الرئيسية للمصالح العام مثل صناعة بعض الافشحة (الطراز) والاسلحة . وهذا تغيير عن مبدأ يتصل تطبيقه بخطة الامة ووجهتها وتنضج حدوده بضوء ذلك .

ومن المبادئ الاساسية للمجتمع العربي الاسلامي مبدأ الثورة لرفع الجور ولتحقيق العدل ولبناء مجتمع افضل . وهل كان الاسلام الا ثورة شاملة قلبت الأوضاع واحدت تغييرات جذرية في نواحي المجتمع كلها . وقد عرف المجتمع العربي الاسلامي اكثر من ثورة للقضاء على الجور ولتحقيق العدالة . وقبل هذه المبادئ وبعدها ، مبدأ

دار الكتاب الجديد

للطباعة والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي: بيروت، بناية للغازية، بجانب
تقابة الصحافة
تلفون: ٢٥٥٦٦٩. ص. ب: ٥٢٦٤

مختارات من روائع التراث العربي

مشكلة الناس لزمانهم للمؤرخ يعقوبي
تحقيق المستشرق وليم ملورد

اثر فريد في العالم، نشر على نهج علمي صحيح،
فيه الاصول الاولى لعلم الاجتماع الحديث.

معاني الشعر للاشناداني، برواية ابن دريد
تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد

كتاب نادر، يتضمن روائع الشعر العربي القديم
مع بيان اسراره ومعانيه.

كتاب الطبخ لمحمد بن الحسن البغدادي
تحقيق: فخري البارودي

كتاب يدل على الطبخ في عصر ازدهار الحضارة
العربية أيام العباسيين.
والحق به المحقق معجماً بالماكل الدمشقية فسي
عصرنا الحاضر، وطرق تحضيرها.

رسائل ونصوص: سلسلة تصدر باشراف
الدكتور صلاح الدين المنجد
ظهر منها ٤ اجزاء. فيها رسائل نادرة

من أترات العربي

- ١ - امراء مصر في الاسلام للمؤرخ ابن طولون
- ٢ - تزويج فاطمة بنت الرسول، تأليف الامام الباقر
- ٣ - رسائل في مدح دمشق للعماد الاصفهاني
والقاضي الفاضل.
- ٤ - المستظرف من اخبار الجوارى للسيوطي
- ٥ - فتوى في القيام والقعود لابن تيمية
- ٦ - كتاب تنزيل القرآن للزهري
- ٧ - معارضة ابن البار لكتاب ملقى السبيل للمعري.
- ٨ - نصوص من رسالة الصداقة والصدق
للتوحيد مع دراسة عن معنى الصداقة
للمستشرق الفرنسي م. برجيه

اطلبوا الفهرس العام

اساسي هو ان الامة هي الاساس وكل عمل عام وكل مصلحة حكومية
انما تقوم باسمها ولخدمتها. هذا هو المبدأ الذي اكده الفكر العربي
في كل الظروف حتى في احلكها. كما ان الولاء لها اساس كل ولاء
وبداية كل عمل عام. ولذا كان مبدأ الشورى اول مبادئنا، ولذا كان
الاجماع اساساً حياً في التشريع عبر العصور.

وقد وجدت هذه المفاهيم تطبيقها العملي في صدر الاسلام. فهناك
نلاحظ ان الامة تحوطها العقيدة وتشدها في تكوين واحد، وان كل
فئات الامة تعمل في خطوط واحدة. ولما كانت رسالة الامة الخارجية
الجهاد ورسالتها الداخلية البناء نجد ان رايها يتبلور في رأي فئات
الامة كافة وانها بمجموعها تكون الجيش الذي حمل الرسالة للخارج،
كما نجد ان نظام الضرائب، وبناء المدن الجديدة (دور الهجرة)
ونظام العطاء وضع ليحقق هذه المفاهيم في تخطيط واحد.

كل هذا يعني وحدة العمل العام، ووحدة الخطوط التي تحقق
الاهداف الرئيسية في نطاق واضح، ووضع التنظيم الاستند الذي
العقيدة والذي يمكن من تحقيق الاهداف الرئيسية. ولم يجد المجتمع
بأسا في تنوع الاجتهاد في اطار الخطوط الرئيسية والاهداف العامة،
بل انه رجب بذلك.

ولا بد ان نشير الى مبدأ اخر، وهو ان المجتمع العربي اكد على
المبادئ والقيم الاساسية وان التشريع انبثق عنها بفناء النظورات
العملية والحاجات. ولذا نجد الخبرة والتطبيق تسبق التشريعات
التفصيلية مع الرجوع الى اصول واحدة لفرض التشريع. وهذا يعني
ان التطبيقات العملية او تجربة المجتمع وواقعه كانت نقطة الابتداء
واساس التفكير. ولذا نجد التأكيد باستمرار على صالح الامة وعلى
الضرورات التي يوجبها تطور اوضاعها.

واخيراً نذكر ان المجتمع العربي الاسلامي اكد في جميع الظروف
على مبدأ العدالة الشاملة، واعتبر ذلك اساس كل خير وقاعدة
البناء. ويتمثل مبدأ العدالة في تساوي الحاكم والمحكوم امام القانون
وفي التكافل الاجتماعي، وفي الكثير من الخدمات الاجتماعية التي
قامت بها الدولة في فترات مختلفة وفي تيسير التعليم وفتحها
للجميع. والمهم ان مبدأ العدالة يعتبر القاعدة الاولى للمجتمع العربي
الاسلامي.

اننا حين نذكر هذه المبادئ التي تتخلل تراثنا العربي الاسلامي،
بعد ان تعرضنا لخبرات المجتمع العربي، انما نريد ان نبين ان العدالة
الاجتماعية التي نريد، او الاشتراكية العربية، لها مفاهيمها وقيمها
الاصيلة. كما انها تبين ان الوجة العملية او التخطيط انما ينبثق
من طبيعة الوعي العربي، ومن واقعا الذي يفرض علينا التفتيش
الجذري لتتوصل الى بناء مجتمع عادل مرفه.

ونحن نلاحظ ان فترات الازدهار والبناء هي فترات الحرية
الشاملة للامة، ولل فرد في نطاقها وضمن اهدافها، وان هذا الازدهار كان
حين تصافرت فئات الامة وقواها في اطار العقيدة الواحدة وحين لم
يشع الاستغلال الداخلي.

ونحن نرى بعد هذا ان المبادئ الاساسية التي تتخلل التداير
العملية التي نهجتها الاشتراكية العربية والقيم التي تتخللها هي
مبادئ وقيم نابغة من صميم تراثنا. كما اننا لاحظنا ان الوجة
العملية والتطبيقات صادرة عن واقع المجتمع العربي بفناء متطلبات
الثورة العربية وفي سبيل تحقيق اهدافها.

ونحن بعد هذا لا نعيش الان، كما لم نعيش في الماضي بمعزل
عن تجارب البشرية وعن خبراتها العلمية والعملية، بل اننا نريد ان
نفيد منها باذهان مفتوحة. وهذه نظرة عربية تطلت فترات البناء
والازدهار للمجتمع العربي.

ان العدالة الاجتماعية التي نشهد تتمثل في الاشتراكية العربية
وهي حصيلة مثلنا وقيمنا ومبادئنا الانسانية، في تفاعلها الايجابي
مع واقعا وفي سبيل المجتمع الجديد الذي نريد مستفيدة في تطبيقاتها
من تجارب البشرية وتطورها العلمي. الدكتور عبد العزيز الدوري